أزمة الخطاب

حضرت خطبة الجمعة في أحد المساجد، فألقى علينا الإمام خطبة تحتاج إلى شرح لمفرداتها، وقد حشاها بكلمات لا يعرفها كثير من طلبة العلم: كالوكس والشطط ونحو ذلك. وكان عنوان الخطبة عائماً غائماً هائماً، ولم أدرِ ماذا يريد أن يقول؟ واتهمت عقلي، ولكنني التقيتُ بعد الصلاة بعض طلبة العلم فشاركوني الرأي، وعجبنا كيف ترك الخطيب منهج الشريعة في السهولة واليسر والوضوح، وذهب بعيداً إلى الغموض والألغاز والتمويه؟

ألا يعلم أن جمهوره هو السواد الأعظم من العامة وأنصاف المتعلمين، فإذا كنّا نحن طلبة العلم لم نفهم خطبته الملغزة المطلسمة فكيف بغيرنا من العامة؟ ما الذي دعاه إلى سلوك الطريق الوعر الشائك، وترك السهل الواضح؟ ومثل ذلك غالب الدروس التي تُلقى في المساجد، فبعضها يُبث في التلفاز، والشيخ يتكلم عن شروط البيع والإجارة وميراث المفقود، وجمهوره من أصقاع آسيا ومن أدغال أفريقيا، وكثير منهم لا يعرفون العقيدة الصحيحة ولا أصول الدين، ولا أبجديات الشريعة.

لماذا لا يفهم الشيخ مستوى هذا الجمهور، وماذا يريد وماذا يحتاج إليه؟ لماذا تُحوّل كل الدروس إلى دروس أكاديمية تخصصية؟ لماذا لا يكون غالبها دروساً في المعتقد الصحيح، وما يلزم المسلم معرفته، وما يجب عليه اجتنابه؟ ما رأيك إذا كان في الحضور من يطوف بالقبور، ويتبرك بالأموات، ويبتدع في الدّين، ثم يأتي الشيخ المحاضر ليدرس هذا العامي: خيار المجلس وبيع العينة وتلقي الركبان ونحو هذه المسائل، التي غيرها أولى منها وأجدر؟ إن المساجد في حاجة إلى دروس عامة سهلة ميسّرة بخطاب بليغ، وبيان شافٍ كافٍ، وأسلوب متميز، وإلقاء جذاب، وفي خطباء المساجد من أجاد وأفاد، ولكن الغالب يعلق

الخطـاب ويغلقه، ويجعلـه نخبوياً ثقافياً تائهاً، لقد قـرأتُ كتب الخطابة وزاولتها سنوات طويلـة، وسافرتُ في شتى البلدان، وخرجتُ بنتيجـة مؤداها: أن البساطة في الخطابة، واليسـر في الحديث، والوضوح في العبارة، والكلام عن جوهر الدّين وقواعـد الملـة وأصول الشريعة، هـو أفضل سبيل لتفهيم المسلمـين دينهم، وغالب الخطبـاء والأئمة لم يتلقوا تدريباً من قبل علـى الخطابة والتدريس، ولم يمارسوه طويـلاً، ولكنهم فجأة وجدوا أنفسهم يخاطبون الناس بخطاب يصلح في مسجد فيه بعض طلبة العلم المتخصصين، ففقدوا بهذا الخطاب جمهور المسلمين.

وإن مـن الواجب علينا أن يكون عندنا قناة فضائية خاصة تنقل للمسلمين بلغاتهم خطبـة الجمعة والدروس بعد أن توجه هؤلاء الخطبـاء والأئمة، ليصبحوا قادرين على مخاطبـة الناس، آمل من الخطبـاء والأئمة أن يبتعدوا عن التعمق في العبارة، والتشدق في الألفـاظ، والتكلف في الجمـل، والغوص في مسائل عائمة، ليسـت هي المهمة للسامع والمشاهد.

إخـواني الأئمة والخطبـاء: إن الدّين يسر يقتضي منّـا أن نسهّل طرحه على النـاس، ولا نشق عليهـم في معرفته، ولا نبتعد عن هـدي الرسول ﷺ في السهولة والوضـوح، وترك التعمق والتنطـع والتشدق والتفيهق، فليسـت من صفات المسلم فضـلاً عن الإمام والخطيب والعـالم، آمل أن تُقبل نصيحتـي إشفاقاً على الأمة، ورحمة بهـا، وحرصاً على نفعها، وآمل من إخـواني الأئمة والخطباء التحدث عن العقيـدة الصحيحـة وما يضادهـا، وأركان الإسلام والإيمـان والإحسان، وأصول الأخـلاق، وما ينفع المسلم في الدنيا والآخرة، تحت مظلة الكتاب والسنة، بخطاب السلف السهل الأصيل، المفيد النافع المبارك.

الطائفيّة تدمّر الأمة

بين المسلمين تطاحن داخلي واقتتال طائفي، شلَّ حركتهم، ومزّق صفوفهم، وشمّت بهم أعداءهم؛ إذ إن كل طائفة تدّعي أنها المحقة الوحيدة وما سواها باطل، وأنا أعلم علم اليقين أن ليس كل الطوائف على حق، وأن الله لا يترك عباده كلهم على ضلالة، بل الحق في اتباع الكتاب والسنّة، وفهمهما على لغة العرب كما فهمها الرسول ﷺ وأصحابه، ولو قال قائل: كل طائفة تدّعي هذا فتقول: إن العلماء الراسخين يعلمون بصحة النقل المعتقد الصحيح، الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وما سواه باطل، وهذا لا يحتاج إلى إعمال ذهن ولا الاستعانة بصديق، لكنني هنا لستُ بصدد ذكر المحق من المبطل، ولكنني في موقف المحذّر المنذر بالخطر الداهم والطوفان القادم، الذي اجتاح الأمة، وهو خطر الطائفية، التي عصفت بأكثر من بلد مسلم، فأفغانستان بعدما دحر مجاهدوها الاتحاد السوفيتي قام قادتها السبعة بالاقتتال الداخلي، وكل قائد منهم يرى هو وأتباعه أنه المحق المصيب المجاهد في سبيل الله وقتلاهم شهداء، وأن أخاه القائد الآخر ضالّ مضلّ معتدٍ باغٍ من حزب الشيطان، فأسقط بعضهم بعضاً، وذبح المسلم أخاه بدم بارد، وصاروا ضحكة للعالمين، وأتت طالبان فقاتلتهم واستولت على أفغانستان، ثم قامت بتصرفات رعناء حمقاء بلهاء، فسقطت ودُمّرت أفغانستان.

وقام العراقيون بطوائفهم تحت مظلة قتال المحتل فقتل العراقي أخاه العراقي وصار قتلى العراقيين بيد العراقيين أكثر مما قتل الأمريكان، وكل طائفة ترى أنها الحقيقة بنصر الله، وأنها الملهمة المسددة، وكل طائفة سواها خارجة عن الإسلام، تستحق المقاتلة والحرب، وفي لبنان تهيأت كل طائفة لقتال الأخرى لتعيد الحرب الأهلية المشؤومة التي مزّقت لبنان، وعاد حزب الله من جنوب لبنان بسلاحه فصوّبه في نحور اللبنانيين؛ ليلغي كل إنجاز حققه، وفي اليمن شبّ القتال الطائفي بين الحوثيين والحكومة لاختلاف في فهم النص وتأويل الشرع ولا تزال الحرب طاحنة، وهناك طوائف ساكتة كامنة كمون البارود في الجمر، تنتظر أي حركة

لتقاتل في سبيل الله على زعمها، وتقتل كل مخالف لها من الطوائف الأخرى، ولقد تحقق قول الله عز وجل في الأمة لما ترك غالبها الاتباع الصحيح للكتاب والسنّة: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، وكل طائفة يقوم أساطينها ورموزها بشحن أتباعه ضد الطائفة الأخرى.

فصارت بلاد الإسلام هي بلاد الاقتتال والنزاع والتفجير والتدمير، وإذا تابعت الأخبار العالمية وجدت المنطقة الساخنة هي بلاد الإسلام، حتى إن طائفة تدّعي الجهاد في سبيل الله اقتصرت عملياتها على المسلمين في الرياض والقاهرة ودمشق وبيروت والرباط والجزائر وموريتانيا، ونجا الجيش الإسرائيلي المحتل المغتصب من أي عملية لهؤلاء الفاتحين، ومن لم يحمل السلاح على أخيه المسلم حمل عليه القلم واللسان: سبّاً وشتماً وتجريحاً وتشويهاً وتشهيراً في الصحف والقنوات الفضائية والإنترنت، فشُغِلنا بأنفسنا، وتطاحنّا فيما بيننا، وتعطّلت حياتنا من الإنتاج والاختراع والإبداع والتصنيع، وذهب غيرنا يسافر بعلمائه في فضاء الله الواسع وكونه العجيب، يخترع ويكتشف ويحلل ويستنتج، ففريق منهم سافر إلى عطارد والمريخ، وغيرهم سبر أعماق البحار، وآخرون إلى أعماق التربة، فهدرت مصانعهم، وقامت معاملهم وصاروا في ورشة عمل، وبقي الكثير منّا يعدّ العدة: إما بالنيّة أو بالعمل للوقيعة بأخيه المسلم في غيابٍ لأهل العلم الراسخ والرأي السديد؛ ليقود القافلة حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، الذي يصدر أحدهم فتوى في الدماء والقتل، وكأنها فتوى في زكاة الفطر والمسح على الخفين والسواك، فهل آن للعقلاء من كل طائفة أن يتداركوا أمرهم، ويهبوا هبّة رجلٍ واحد لتدارك أمر الأمة، وأخذ زمام المبادرة، وإنقاذ العباد والبلاد من الفتنة المشتعلة والطوفان الجارف؟

يوم أهملنا الرياضة

حث الإسلام على حفظ العقول والأبدان، ومن حفظ الأبدان تقويتها بالمشي والرياضة، وكان الرسول ﷺ وصحبه الكرام يمشون كثيراً، ويثبون على ظهور الخيل وثباً، حتى قال البوصيري:

كأنَّهمْ في ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبىً
مِنْ شَدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ

ولهم في الصيد والمصارعة والمنازلة والسباق بالأقدام والخيل قصص مشهورة، وكانوا من أقوى الناس أجساماً، وقد أدركنا في حياتنا من الآباء والأجداد من بلغ المائة وزاد عليها محتفظًا بقوّته وصحته، يصعد الجبل بسهولة، ويشارك في العمل والزراعة والعرضة بنشاط ظاهر، ثم جاء جيلنا فجاءت السمنة والترّهّل والسكري والضغط والجلطة وأمراض أخرى من كثرة الجلوس وإهمال المشي وترك الرياضة مع كثرة الأكل، فوقع الغالب في مرض السمنة، والسمنة داء مزمن حذّر منه العقلاء والأطباء، ودعوا إلى المشي، حتى نقل الرازي أن أطباء العالم أجمعوا على أن أفضل رياضة هي المشي، ومن ترك المشي تركه المشي، أي: إن من أهمل المشي في شبابه فسوف يتمنى المشي إذا شاخ ولن يستطيع، وكان الشافعي يقول: «السمين زمين» أي: مريض دائماً، ويقول: «ما أفلح سمين قط إلا محمد بن الحسن الشيباني» يقصد العالم الحنفي، أي أن غالب أهل السمنة أهل أمراض وأزمات، وكان عمر بن الخطاب يأمر رعيته بالتقشف والخشونة والرجولة وركوب الخيل وترك الترّفه والبذخ والإسراف. وقد ذكر العلامة ابن خلدون: أن هرم الدول وشيخوختها يبدأ مع البذخ والسرف، ونحن بحاجة ماسة إلى توعية شاملة بالرياضة خاصة المشي، وأن تكون في كل مدينة طرق واسعة للمشاة، وتنبيه دائم بضرورة المشي في وسائل الإعلام، ورعاية مستمرة من الدول

بحثٍّ رعاياها على الحركة والمشي، وبعض الأطباء ذكر أن السمنة تنتج أكثر من خمسة وعشرين مرضاً، ويقضي المشي عليها جميعاً، ومن مشى طويلا عاش طويلاً، والبركة مع الحركة، ومن رضي بالجلوس الطويل وأهمل الرياضة والمشي زارته الأوهام، وتعاهدته الأسقام، وباغته الهرم في أعوام، وأجسادنا مهدّدة بالسقم ما لم نُعِد سياسة حياتنا، ونراجع حسابنا مع الرياضة والحركة والمشي، فهل آن الأوان لأن نجعل في برنامجنا اليومي حصة المشي: إما صباحاً أو مساءً لا تقل عن نصف ساعة، نمشي ونذكر الله كثيراً مع شرب الماء، لتعود لنا اللياقة البدنية، فإن العقل السليم لا يكون إلا في الجسم السليم، وإن أمراض السمنة تهدد مستقبلنا، وهي التي تعيق حركتنا ونشاطنا وإنتاجنا وإبداعنا، وتجلب لنا أمراضاً أخرى تشلّ من قدرتنا العقلية والجسدية، وفي الحديث: «علّموا أبناءكم الرماية والسباحة وركوب الخيل».

وقد عرفتُ أناساً في جبال السروات بلغوا المئة وزادوا، يثب واحدهم إذا مشى، ويصعد قمم الجبال بسهولة، ويصيب الهدف إذا رمى، ويذهب للصيد، ويقفز في الحفلات بالسيف والخنجر بلا سمنة ولا كرش، بل تراه قويّاً نحيفاً، إذا صافحته أمسك كفّك وهزّ يدك، ثم عرفتُ شباباً قاربوا الأربعين عطّلتهم السمنة عن الحركة، فترهّلت أجسامهم، وكثرت أمراضهم، وإذا مشى أحدهم صار له فحيح كفحيح الحية، يحمل أمامه كرشاً يُعذّب بها في كل مكان، تسبقه إذا جلس، ولا يقوم إلا بشق الأنفس، ضاق بها ذرعاً، تسبقه إذا مشى، وتقيّده إذا تحرك، وتمنعه من معانقة أصحابه والسير مع زملائه، ونصيحتي أن نفكر تفكيراً جاداً في إعادة النشاط إلى أجسادنا وطريقة أكلنا، ونهجر كثرة الجلوس والنوم إلى حياة ملؤها العمل والنشاط والمشي والحركة، ويكون في جدولنا اليومي صلاة ومشي ورياضة وسياحة وقراءة وأكل ونوم، أما أن نختصر أيامنا في الأكل والنوم والسواليف وكثرة الجلوس، فمعناها أننا قررنا تقصير أعمارنا، وإهمال أجسادنا، فهل آن الأوان لحفظ الأبدان والأذهان والاستفادة من الزمان؟

صنم القبيلة

أكثركم شاهد مهرجان الشعراء وافتخارهم بقبائلهم، وأنهم ذبَّاحة القوم، وأنهم يصبِّحون الأعداء بالبارود، وأنهم لطّامة الخشوم، والمقصود طبعاً القبائل المجاورة من المسلمين المحرّمة دماؤهم وأموالهم وترويعهم؛ لأن القبيلة لم تقاتل إسرائيل ولا روسيا ولا الصين، وافهموا الرسالة ومعناها: أن قبيلتنا هي أفضل القبائل وأشجعها وأكرمها، وأنها كانت قبل توحيد السعودية تهزم القبائل المجاورة، وتحتل أراضيها وتنهب إبلها، وافهموا الرسالة: أن القبيلة صاحبة المهرجان لابد من أن يحسب لها ألف حساب.

فهل كانت الحروب هذه في سبيل الله؟ علماً بأن هذه القبائل لم يحضر منها أحد في معركة بدر ولا أحد ولا القادسية ولا اليرموك، وإنما المقصود الغارات والنهب والسلب، الذي كان قائماً قبل مشروع الوحدة، ويستمر التأجيج والتصعيد والتحريض وتهميش القبائل الأخرى مع سكوت من المسؤول والعلماء ورجال الإعلام والفكر، وأول النار شرارة كما قال نصر بن سيّار:

فإنّ النارَ بالعودين تُذكى
وإنّ الحربَ أولُها كلامُ

وأعرفُ أن بعضهم إذا قرأ هذه المقالة سوف يقول: هوّلت الأمر، وضخّمت الحدث، ولكنني قرأتُ التاريخ بتمعُّن، فإذا ببعض الأحداث الصغيرة البسيطة التافهة، التي لا يُلتفت إليها كانت هي الفتيل لأزمة كبرى ومعركة طاحنة، وقد استمعتُ إلى غالب القصائد التي أُلقيت، فإذا هي تتحدث عن حقبة زمنية سابقة، وإذا هي تكرّس التفاخر بالقبيلة على حساب القبائل الأخرى، وتعميق العصبية والنعرات الجاهلية، وإذا استمرت هذه النعرات فسوف تنشأ عندنا بوادر لحرب أهلية، سوف تتم تدريجياً مع السنوات (وأول الغيث قطر ثم ينهمرُ)،

وسوف يتجرأ الشعراء مع قلة الوعي وضعف الذمة على التحرش بالقبائل الأخرى وإعادة ذكريات الغزوات الجاهلية والثارات القبلية والعنصرية القبيحة، التي أتى الإسلام لمحاربتها، ثم تقوم القبائل الأخرى بالرد والتصعيد، ثم تبدأ المهاترات والمناوشات، ثم الاشتباك بالأيدي، ثم اللطم، ثم العض، ثم اللكمات، ثم السلاح الأبيض، ثم الرشاش:

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلام

فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ

أفيقوا أيها الناس، وتذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وتوحيد الكلمة، وجمع الصف تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وابتعدوا عن تمزيق البلاد، وإضعاف الوحدة، وإيغار الصدور، وزرع بذور الفرقة والفتنة ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾، وأقترح أن يكون هناك (مزاين للعقول المبدعة)، يُكرم فيه الموهوبون والمتميزون في العلم والأدب والإنتاج والوظيفة وحسن الخُلق، فتكريم الإنسان أعظم من تكريم الحيوان، وبعض الأمم سافر أبناؤها في المركبات الفضائية، يكتشفون الفضاء إلى عطارد والمريخ، وما زال بعض شعرائنا يمدح قبيلته بأنها كسرت خشوماً، ولطمت وجوهاً، وأذلّت قوماً، وهزمت آخرين، وفرضت احترامها على القبائل، وكل الناس يهابونها، بينما كثير من أهل هذه القبيلة يعيشون في شظف من العيش.

وأعوذ بالله من هذه النعرات، كيف حقّرت ما عظّم الله، وعظّمت ما حقّر الله، فالله حقّر العصبية الجاهلية، والفخر بالأنساب، والطعن في الأحساب، وعظّم سبحانه دينه وكتابه وسنة رسوله ﷺ، وأخوة الإيمان، وجمع الكلمة، فعكس هؤلاء أمر الله بجهلهم واتباعهم أهواءهم ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

لا تقتلوا خطبة الجمعة

خطبة الجمعة عبادة مقدّسة لا يستطيع أحد أن يلغيها من حياة المسلمين؛ لأنها كالصلاة لها هيئة خاصة ومكان خاص وزمان خاص، وإنما شُرعت خطبة الجمعة للوعظ والتذكير وزيادة إيمان الناس بربهم وتفقيههم في الدِّين ووصيتهم بتقوى رب العالمين، وكان رسولنا ﷺ إذا خطب هزّ القلوب، وأبكى العيون، وسافر بالأرواح إلى العالم العلوي، كما قال شوقي يمدح النبي ﷺ:

وإذا خطبتَ فللمنابرِ هزّةٌ
تعلو النَّديّ وللقلوب بكاءُ

وقال الزبيري يمدح الرسول ﷺ:

ما بنى جملة من اللفظ إلا
وابتنى اللفظ أمة من عفاءِ

وكان ﷺ يأمر بالإيجاز في الخطبة، وسار على ذلك خلفاؤه الراشدون والأئمة المصلحون، فخلف من بعد ذلك خلف أطالوا الخطبة وأماتوها، وخرجوا بها عن مقصدها، فجعلوها ثقافيّة فكرية سياسية، لا روحانيّة ربّانيّة شرعيّة، فجرّدوها من الأدلة، وأسهبوا في الحديث، وأشغلوا الناس بقضايا لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ولا يستطيعون تقديم شيء، إنما حرموهم من الاستفادة، فبعض الخطباء يقرأ في أوراقه بصوت ضعيف، ولحن ظاهر مع كثرة التنحنح والسعال والشهيق والزفير والعطاس، فلا ينتهي إلا وقد نكّل بالناس وأزعجهم، وبعضهم إذا سمعته كأنه يقرأ من صحيفة، إذ يلقي كلاماً بارداً سامجاً ثقيلاً مملاً، يدخل به في كل موضوع، ويعالج مشكلات كثيرة مع الإسهاب والإطناب دون مراعاة لحالة السامعين، فيتكلم في المدينة عن مشكلات البادية، ويخطب بالقرية عن الغزو الفكري، ويحدث الأعراب عن حوار الأديان، وهذا من ضعف البصيرة وضحالة العلم وقلّة الفقه،

وبعض الخطباء يخطب وهو غضبان على المصلين، زعلان منهم، طفشان حاقد على تصرفاتهم، يتهددهم ويتوعدهم من على المنبر، ويدعو عليهم بالويل والثبور وعظائم الأمور وقاصمة الظهور، وكأنه التقي وحده المنزّه المعصوم المجتبى، وما سواه مذنب مخطئ ضالّ، وبعض الخطباء لا يحضر الخطبة ولا يستعد للمقام، فيرتجل ويأتي بالعجائب، ويتكلم عن حقوق الجار، ثم حسن الخُلُق، ثم فضل تلاوة القرآن، ثم ضرورة فتح بيت المقدس والإشارة إلى السلام مع إسرائيل، والتنديد بالدنمرك، وذكر مناقب عمر بن الخطاب والدعوة لتيسير مهور الزواج.

إن حاجتنا ماسة إلى معاهد لتعليم الخطابة في كل مدينة، وقد فعلتها مصر وتركيا وإندونيسيا، أما أن نترك منابرنا حقول تجارب للأميين وأشباه المتعلمين، يعجنون عليها الكلام ويطحنون الحديث، فيعذبون عباد الله، فهذا خطأ منهجي. لا بد من إعادة الدراسة لخطبة الجمعة؛ لتؤدي رسالتها ويحصل الانتفاع بها، وتكون مناسبة إسلامية لزيادة الإيمان بتهذيب النفس وتطهير الضمير وإصلاح المجتمع.

ونصيحتي للخطباء أن يتحدثوا فيما ينفع السامع، ويعظم التقوى عنده، ويزيد من طاعته لربه وعبادته لمولاه، ويتركوا الحديث عن مشكلة دارفور جنوب السودان، وأزمة لبنان ومشكلة الحوثيين في اليمن، يتركوها لمؤتمرات القمة العربية المباركة، أما إشغال الناس بدهاليز السياسة وفتات الثقافة وهذيان الفكر فهذا هوس، ونصيحتي للخطباء أن يبسِّطوا العبارة ويسهّلوا الكلام، ويبتعدوا عن التّشدّق والتفيهق والتّعمق، كقول أحدهم في عبارات سامجة سخيفة: إن الدعوة إلى الله تنطلق من أُطر، وتنبثق من بوتقة الوعي، الذي ينصهر في ذهنية المتلقي. مع قدر مشترك من عقلية متناغمة بين المتحدث والسامع، وأقول: الحمد لله على نعمة العقل.

غلاء الأسعار

أصبح غلاء الأسعار حقيقة واقعية وقضية عالمية شغلت الرأي العام، وأصبحت ورقة يتلاعب بها الكبار فيما بينهم، والضحية هم الصغار من الفقراء والمساكين والأيتام، وغلاء الأسعار نار لا يكتوي بها إلا البسطاء، الذين يسكنون بيوت الصفيح والطين والخيام، وينامون على الأرصفة، ويجاهد أحدهم يومه كله؛ ليحصل على رغيف خبز، مع قلة مبالاة من أهل الثراء الفاحش والغنى الطاغي، ويظن من جمع القناطير المقنطرة، وجمّد الرصيد الهائل في البنك أن لا مسؤولية عليه شرعية أو أدبية تجاه هؤلاء الفقراء المعوزين؛ لأنه قد أمّن مستقبله وخطط لحياته، ولكن ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ فتجد العقوبات الإلهية والسياط الربّانيّة تتهاوى على رأس هذا البخيل الكنود الشحيح، الذي منع زكاة ماله، وحبس صدقته، وبخل بمعروفه؛ فيُبتلى بخسارات مالية هائلة، وبأمراض فتّاكة مضنية، بل إن غالب التجار الكبار يصابون بالسكري والضغط والقلق، ورأينا منهم من يداوم على عقاقير مسكّنة؛ لأنه تحوّل عبداً للمال وخادماً للثروة، فكلما تعرض لنكسة مالية أنفق من صحته، ودفع من راحته وأمنه الداخلي ضريبة لهذه المصائب المالية والكوارث الاقتصادية.

وبالمقابل نجد الفقير غالباً يتناول رغيفه وينام نومةً هادئة، أما عبد الدنيا والدولار ففي قلبه نار من تذبذب الأسعار، وانخفاض الدولار، على مذهب (نار يا حبيبي نار).

نحتاج نحن الشعوب في ظل أزمة غلاء الأسعار إلى قرار سياسي يعادل الكفة بين أبناء الوطن الواحد، وينقذ أرواح الجائعين والمحرومين والمعدمين، ويُحدد دخلاً خاصاً للفقراء، لا مجرد زيادة في الرواتب؛ لأن المستفيدين من الرواتب فئة قليلة وفيهم الغني، ولكن قطاعاً هائلاً من المواطنين ليس لهم دخل من دولهم، فلا

رواتب ولا مخصصات ولا هبات ولا هدايا ولا إكراميات ولا منح ولا شرهات، بل تأخذ الدول منهم ضرائب وفواتير، فمنهم من يبيع بقرته؛ ليسدد أجور الكهرباء والهاتف، ومنهم من يقترض ليشتري طعاماً لأطفاله.

وقد اشتكى هؤلاء الفقراء وبكوا وصاحوا وناحوا، ولكن هيهات لا مجيب، والواجب علينا جميعاً صنّاع قرار وأغنياء وعلماء ورجال إعلام: أن نهب هبة رجل واحد لإنقاذ هؤلاء المنكوبين في بلادنا، حتى ولو وصل الأمر إلى يوم إعلامي مفتوح لجمع التبرعات، كما فعلنا مع البوسنة والهرسك والشيشان و(الأقربون أولى بالمعروف).

ففي عام الرمادة زمن المجاعة في عهد عمر بن الخطاب فاروق الإسلام رضي الله عنه، رفض أن تميل الكفة لصالح الأغنياء، فأصدر قراراً سياسياً من على المنبر، وأقسم فيه أن لا يأكل أحدٌ سمناً ولا سميناً حتى يتساوى الناس، وقام بعملية إغاثة وإنقاذ واستنفار، وأمر الفقراء من شتى الأقاليم أن يرتحلوا إليه في ضواحي المدينة، وحمل الطعام على رأسه، ودخل الخيام يوزعه على الفقراء والمساكين بنفسه، وأرسل إلى عمرو بن العاص والي مصر من قِبَله يستحثه في إغاثة المسلمين، فأرسل له قافلة وصل أولها في المدينة وآخرها في مصر، حتى رفع الله الضائقة عن الأمة.

ماذا ننتظر ساسة وأغنياء وعلماء، ونحن نرى فقراءنا وأيتامنا في حالٍ مزرية، لا يقرّها شرع ولا عقل؟ وإذا لم نبدأ بسد الخلل الداخلي والعوز الاجتماعي والحاجة الوطنية، فلن ينتظر منا مواقف عالمية مشرفة.

سارعوا سارعوا يا صنّاع القرار، ويا أهل الدرهم والدينار، ويا كانزي اليورو والدولار، بإغاثة الفقراء من أهل الدار، وأهل الجوار، قبل أن يغضب العزيز الجبار، ويسخط الواحد القهار.

مع التحية إلى وزير التربية والتعليم

سرّنا ما قام به خادم الحرمين الشريفين من تجديد وإصلاح وتصحيح، وعلى قائمة ما حصل وزارة التربية والتعليم، وإذ نبارك لسمو الأمير الوزير فيصل بن عبدالله بن محمد آل سعود، فإننا نأمل منه كل خير لوزارة التربية والتعليم، حيث ننتقل بتعليمنا من التقليد إلى التجديد، ونجمع فيه بين الأصالة والمعاصرة، والمحافظة على الوحي المقدس والجديد النافع، ونريح الطالب من مواد دراسية لا صلة لها بالدين والحياة، ولا بالآخرة ولا بالدنيا، كمعلومات نظرية قد يستفيدها الطالب من وسائل الإعلام والمجالس العامة، وكذلك إعفاء الطلاب من تكديس المواد الدراسية، وحشر ذهنه بعدة فنون في وقت واحد، وقد درسنا في المرحلة المتوسطة سبع عشرة مادة، حيث أضيف إلى مواد الدين والعربية والرياضيات العلوم من فيزياء وكيمياء وأحياء وجبر وهندسة، وأدب وجغرافيا وتاريخ وثقافة، فذقنا الأمرّين، وضعف التحصيل في المواد الأصلية ولم نعد بفائدة تذكر في المواد الإضافية، وتشتت الذهن، وضاع الجهد، وكلت العزيمة، ووهنت البصيرة.

وأذكر أننا كنا ندرس بالتفصيل والشرح الطويل الصادرات والواردات في دول إفريقيا كساحل العاج والسنغال وأوغندا وتشاد وزائير ومالي، فتختلط علينا صادرات كل دولة بالأخرى، فلا ندري من يصدّر الأناناس أو الكاكاو أو المطاط، ودرسنا النحو على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك المؤلف من سبعمئة سنة، كأنه طلاسم وألغاز وأحاجي، وقس على ذلك مواد كثيرة، كنقائض جرير والفرزدق، لينشأ الطالب متعلماً السب والشتم من صغره، والآن جاء دوركم يا سمو الأمير الوزير في مشروع التصحيح والتجديد، ولننتقل بالتعليم من التعسير إلى التيسير، ومن النظري إلى العملي، ومن الكم إلى الكيف، ومن الشمول إلى التخصص، ومن التكرار إلى الإبداع، ومن المحلية إلى العالمية، ولعل الله يشفينا في العالم العربي من المرض الذي أصاب التعليم، فشلّ حركته وأضعف إنتاجيته، فتخرج

مئات الألوف من الطلاب والطالبات، فلم يضيفوا لعالم الإنتاج والصناعة والإبداع والمعرفة شيئاً جديداً وإنما بقي الحال كما هو من قرون، وغيرُنا لما تخصص أبدع وأنتج وصنع.

وقد آن الأوان لننطلق في هذه المرحلة من رسالتنا الإسلامية الربانية التي تدعو إلى البحث والازدياد من العلم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾، وارتياد حقول المعرفة ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، والعمل الميداني المثمر المفيد ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، لقد قضينا عمراً طويلاً مع المعلقات السبع وشرح غريبها، وقصص داحس والغبراء، والزير سالم، وعبس وذبيان، بينما العالم يسافر بمراكبه في الفضاء، ويمخر بسفنه البحار، ويعبر بطائراته القارات، والعالم العربي يصارع الفقر والجهل والأمية والبطالة.

ونحن بحمد الله واثقون من أنفسنا، فعندنا الميراث المحمدي والتاريخ المشرق، والتجربة الطويلة لحضارة الإسلام، والهمة العالية، وإنما نريد خطة منهجية ونهضة تعليمية، تقوم على الجد والصراحة والتركيز والتخصص ورعاية الموهبة، وتثقيف العقل، وتزكية النفس، وتقويم الخلق، وتهذيب السلوك، وعمارة الدنيا، والاستعداد للآخرة، ونشر الفضيلة، والدعوة للسلام، والتبشير بالإيمان والرحمة والتآلف والتآخي، ومد جسور التواصل، وبناء صروح الحوار، وإحياء روح التعارف، والدعوة للوسطية، وإشاعة العدل للموافق والمخالف، والاعتصام بالدليل، والاهتمام بالحجة، ونبذ التقليد العقيم، والتعصب المقيت، والتحزب المشين، وإننا متفائلون بهذه المرحلة التعليمية التي أوكلت إلى الأمير الوزير.

نسأل الله له التوفيق والسداد والإعانة.

مع التحية لمعالي رئيس مجلس الشورى

نحيي معالي رئيس مجلس الشورى الدكتور عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعسى الله أن يهيئ له من أمره رشداً، وأننا ننتظر منه ومن مجلس الشورى في عهده الثمار اليانعة، والنتائج الحميدة، بما يعود نفعه على الخاص والعام، ولمعالي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد شكرنا الجزيل وثناؤنا الجميل له ولإخوانه على ما قدموا من جهود مشكورة وأعمال مبرورة، وفي شريف علم معالي رئيس مجلس الشورى، فإن المجلس ينتظر منه البناء والتصحيح، والمراقبة والتقويم، فمجلس الشورى ليس جمعية ثقافية، ولا مؤسسة خيرية، ولا جامعة أهلية، وإنما هو ضمير الأمة، وصوت الشعب، والجسر بين الحاكم والمحكوم، وهو ديوان المصارحة والوضوح، ومجلس المناقشة والشفافية والنزاهة، وليس علينا غضاضة من أن نتحدث علناً عن قضايانا الكبرى المصيرية.

فقد تحدث ﷺ أمام الناس جهاراً نهاراً عن قضايا الحرب والسلم، والمال العام، والمعاهدات، ومخاطبة ملوك الدنيا، والولايات والمناصب. وتحدث أبو بكر الصديق على رؤوس الأشهاد في قضية الردة ومن منع الزكاة، واستشار الناس في مواجهة المرتدين على المنبر. وتحدث عمر عياناً بياناً عن مسائل العدل، وميزانية الدولة، ومحاسبة المقصر، وقضايا الفقر، وحل مشكلة عام الرمادة، والعالم الشرقي والغربي يناقش قضاياه تحت قبة البرلمان نسمعهم ونراهم، ويخرجون بالرأي الصائب الذي يدلهم على مصالحهم، وإنما يضعف مجلس الشورى ويوهنه أمران، الأول: الإغراق في الجزئيات والدخول في تفاصيل التفاصيل لمسائل قد تحل في المؤسسات الحكومية، والثاني: ترحيل الأزمات وتأجيلها والتسويف في حلها.

وإننا ننتظر من مجلس الشورى الموقر أن يهتم بالقضايا الكبرى في الوطن، ولا ينتقل من قضية إلى أخرى حتى يقول كلمته في تلك القضية ويجمع أمره، فعندنا

قضايا الفقر، والبطالة، والإرهاب، ومراقبة العمل الإداري والوظيفي، ومراقبة المال العام، والمصالحة الاجتماعية بين أطياف الشعب، وتقوية الدولة أمام التحديات، والخطاب الإعلامي الراشد، وتصحيح مسار التعليم، وبناء الأسرة، وحفظ حقوق الناس، واستقلال القضاء، وغيرها من القضايا المصيرية الكبرى.

وإن في مسيرة مجلس الشورى السابقة ما يدعو إلى الشكر والامتنان، والعمل البشري والجهد الإنساني يحتاج إلى التجديد والتصحيح دائماً، وبما أننا في وطن قدره الريادة، وحظه مكان الصدارة الدينية والتاريخية، فوجب حمل الأمانة، والقيام بالمسؤولية، والعالم لن ينتظرنا لحظة واحدة إذا سوفنا أو تأخرنا، فكل الدول تتنافس وتتسابق، كلٌّ على شاكلته وطريقته لحفظ مكانته، وتحقيق مكاسبه والوصول إلى مصلحته، ونحن نعيش مرحلة تاريخية حاسمة، كشفت فيها العولمة كلَّ سر، وأظهرت كل مكنون، وبيَّنت كل خافٍ، وأعظم حل للخطأ مواجهته لا الفرار منه، والخلل يصلح بالقيام عليه لا بإنكاره، وبما أننا نعيش في كيان جاهد أبناؤه من مئة عام حتى حققوا المكاسب العظيمة، فإن الواجب الاستمرار في العطاء وطلب المزيد والطموح إلى الأعلى، والرقي إلى الأجمل، والاعتراف بالتقصير في جوانب، والتجرد في معرفة الحق والصراحة، والوضوح مع النفس ومع الناس، ومخاطبة العالم باللغة التي يجيدونها، والأسلوب الذي يعرفونه، مع الحفاظ على الميثاق الرباني، الذي شرَّفنا الله بحمله، واستأمننا عليه، وجعلنا نحن الأمة الوسط، والشاهدة على الأمم.

وهذا يضاعف علينا المسؤولية، ويعظم علينا الواجب، فمثلاً لقد وجهه خادم الحرمين الشريفين من سنوات بحل أزمة الفقر في البلاد، وزار الفقراء في أماكنهم، وواجبنا أن نسانده بما في ذلك مجلس الشورى أميناً مشرفاً على حل هذه الأزمة، وعرض المشروع العملي الميداني لمعالجة هذا الداء، قبل أن ينتقل إلى أزمة أخرى، ولا يكفي في حل الأزمات عرض وجهات النظر، والتوصيات الشفوية،

وإسداء النصح الخطابي؛ بل نريد آليات وخططاً مدروسة نلمس آثارها، ونشاهد نتائجها في حياتنا، أما مهمة التوجيه والنصح والإرشاد، فهي للعلماء والدعاة والمفكرين ورجال الإعلام.

بارك الله في معالي الرئيس، ووفقه وإخوانه في مجلس الشورى إلى كل خير، وأرشدهم لما فيه صلاح العباد والبلاد.